من ذخائر التلوينات الصوتية في القرآن الكريم

. قراءة في ظاهرة النبر .

From the repertory the phonetic differences in the Quran

-A reading in the phenomenon of stress-

بن فطة عبد القادر

جامعة مصطفى اسطمبولي . معسكر .

تاريخ الارسال 2022/01/09	تاريخ القبول 2023/03/12	تاريخ النشر 2023/12/15

الملخص

اشتمل القرآن على تلوينات صوتية وافية لكثير من الدلالات، كشفت عن إعجازه وارتقائه اللغوي، وإحاطته الشاسعة بما جفاه الاستعمال العربي. فكان القرآن يذكر المفردة ، ويتتبّع مواطنها ليسوق لها السياق ، ويفتح مجراها على منطلق موضوعي من ذم و تزكية، ويرسم مدلولها الراقي معتمدا على عنصري التشويق والمفاجأة في محاولة استمالة المتلقي، وسحبه إلى التفاعل مع عملية التحول من مرئية المفردة إلى الصورة الفنية المتدفّقة لتعميق الدلالة المطلوبة، وضبط النظام الصوتي الذي يهيئ لمقاطع متراكبة ومتلاحمة. ولعل من أهم هذه التلوينات الصوتية النبر، هذا الفونيم فوق التركيبي، فيه صورة غزيرة النغمات تكون جسرا لضخ الانفعال الصافي لتهيئة نفسية السامع لفهم أسرار النص ومقاصده. إنه الشعلة المتميّزة في سرّة التراث الصوتي استهدفت تصفيته من أوضار المتطفلين على التفكير

Abstract

The Quaranic text includes adequate phonetic types for many significances, that reveals itsmiraculousness and linguistic advancement, as well as its vast awareness of what had the Arab use ignored. The Qur'an mentions the word, tracking its position in different contexts and opening its path according to objective basis, it draws also its high significance depending on the suspense and surprise factors to attract the reader's attention, making him more interacting with the shift from the visibility of the word into the artistic image to deepen the required significance and adjust the phonetic system. Stress is a main type of these phonetic differences, this super structural phoneme has a rich image of tones that could be a way of

influencing the receptor to prepare his psyche to understand the secrets and purposes of the text. It is the treasure of the phonetic heritage that I attempt at taking away from the harmful effects of intruders on Arabic phonetic thinking	الصوتي العربي.
Keywords :Key words: phonetic differences, phonetic system in Quaran, stress	**كلمات مفتاحية:** التلوينات الصوتية، النظام الصوتي في القرآن، النبر.

المؤلف المرسل:بن فطة عبد القادر abdelkader.benfetta@univ-mascara.dz

1.مقدمة:

أدرك العلماء أهمية التلوينات الصوتية الواردة في القرآن الكريم، فاستظهروها وتعمّقوا في مقاصده ا لتنشئة الذوق اللغوي وتعلّم الأسلوب تجنبا للزلق في التأليف، وتحقيق المنهجية الذكية. فدرجة الكمال للنظام الصوتي أغنى العلم وأثرى المعرفة، وكوّن شخصية المسلم وأبعده عن الركود والنمطية، فلا عجب أن تكون هذه الفونيمات فوق التركيبية ذات قيمة أعظم سطوعا في تاريخ الدرس الصوتي. ظلت مشّعة إلى رؤية البارزة مشحونة بالدلالات الراقية التي تسبح في فلك الحقل الصوتي، ناهيك عن كونها مددا للرصيد اللغوي. فمطاوعة جمالها دعّم إنتاج العلماء بأفكار عالية ، وأنعمت عليهم بذخيرة خلّصتهم من تأثير الابتذال، وجلبتهم إلى حظيرة الكتابة لإضفاء الشحنة الصوتية التي استلهموها من السَمْت المحكم في كلام الله. ومن الظواهر الصوتية التي استمالتهم ظاهرة النبر.

الدرس الصوتي كان حاجة دينية حتى لا تعدم الأمة ثراء في الأداء، إنّه الإرث لا يزول ومطلب حضاري زكاه العلماء وصنّف فيه خيرة أبنائها إنّها ضَرْب من التأصيل حطّم العقلانية العقيمة في التعامل مع لغة الحديث، التي يقوم عليه الفيض والإشراق.

2.. أصالة النبر في التراث العربي

النبر تلوين صوتي يعمل على توضيح المقطع في الكلمة حتى يتميّز عن غيره فيدركه السمع، ويظهر بإضافة دفعة هوائية إلى الصوت، أو أكثر في التركيب فيطفو هذا الصوت على غيره فيتحدّد المقطع المنبور (فالنبر موجود في اللغة العربية فقد ورد عند القدامى من أهل اللغة والتجويد للدلالة على صوت الهمز في الغالب نبر، وهي في القليل غير النبر.)(1) اختلف المحدثون حول إثبات وجود النبر عند القدامى، وتوصّلوا إلى أنّ وظيفته تكمن في التمييز بين المعاني، وأنّهم درسوا اللهجات العربية القديمة من الجانب الأدائي الذي يظهر فيه الاختلاف في نبر الكلمات. وكانوا حريصين على الإبانة عن مقاصدهم وهذا لا يأتي إلاّ عن طريق هذا التلوين الصوتي فهو موجود في كل اللغات. تقاربت رؤية المحدثين مع القدامى في أنّ النبر هو الضغط على الحرفّ؛ لكنّ مكانه في المقطع المحدّد في الكلمة هذه إضافة المحدثين (ونظّم المحدثون هذا المعنى حيث خصوه بالمقطع الذي هو عبارة عن: تأليف صوتي تبسيط تتكون منه، واحد أو أكثر كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها.) (2)

أمّا الغربيون فوقفوا من هذه الظاهرة الصوتية موقفين منهم من أقرّ بوجوده ككارل بروكلمان: (في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقّف على كمية المقطع، فإنّه يسير من مؤخّرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإنّ النبر يقع على الأول منها.) (3) فهذا الرجل له اطّلاع واسع باللغات الإنسانية خاصة التراث العربي والإسلامي ما جعله يصرح به. وبالمقابل نجد من يتحفّظ بوجوده منهم برجشتراسر: (إنّ النبر ظاهرة نادرة في اللغة العربية الفصحى، عكس اللهجات الغربية التي يكثر فيها هذه الظاهرة.)(4)

إنّ اللغات تختلف في مواطن النبر في الكلمة، فبعضها يخضع لقانون خاص بمواضع النبر كاللغة الفرنسية (إنّ اللغة الفرنسية تملك نبرا ثابتا وتضع النبر دائما على المقطع الأخير في المجموعة وليس في الكلمة.) (5) ومنها لا يكاد يخضع لقاعدة محددة كالإنجليزية (والإنجليزية لا تقنع بن بر واحد على الكلمة، فالكلمات الطويلة والكلمات المركبة تملك غالبا نبرين أو أكثر.) (6) أما اللغة العربية الفصحى فإنّ أبحاث المحدثين الغربيين امتدت إلى تحديد مواضع النبر ومن الذين أبانوا عنه جان كانتينو: (تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها و إذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة البتة) (7)

المقطع ليس جديدا عند المحدثين بل تناوله القدماء ؛ لكن بمصطلحات مغايرة يقول الفارابي(339هـ): (كل حرف غير مصوت أي صامت أتبع بمصوت قصير (حركة قصيرة) قرن به، فإنّه يسمى" المقطع القصير" والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بمصوت طويل فإننا نسميه المقطع الطويل.)(8) توصّل المحدثون إلى موقع النبر في الكلمة العربية من خلال النظام المقطعي.

للنبر وظيفة دلالية من الناحية المعنوية على مستوى الكلمة فهو ينظّم التباين الدلالي حسب الكلمة المنبورة. يعطي السياق إيقاعا خاصا يميّزها عن اللغات الأخرى من خلال الاستماع، إنّه نظام قائم على قواعد حسب ما يطلبه السياق يتنبّه إليه السامع عند قراءة القرآن الكريم، فلا تقف وظيفته في اللغة العربية عند الإيقاع (ولا شك أن الإيقاع إذا كان يعطي للغة موسيقاها الخاصة فإنه لا يحدد معنى وظيفيا ولا معجميا ولا دلاليا في السياق الكلامي ولو أن وظيفته اقتصرت على إعطاء الكلام هناك الإيقاع الخاص ما استطعنا أن نربط ربطا مباشرا بين النبر وبين المعنى.) (9) وهناك وظيفة أخرى وهي قيمته الصوتية في إبراز الاختلاف الدلالي داخل السياق، يذلّل المعنى ويرفع الغموض عن الكلمة حتى لا تتداخل مع غيرها ، أو

تضيّع طرفا من بنيتها. وعلى مستوى المقطع فدوره مقطعيا يتجلى في تبيان دلالة الكلمة (أما إذا كان النبر نبرا مقطعيا أي على مستوى المقطع فإن وظيفته تتمثل في كشف دلالة الكلمة وإظهار التباين الدلالي فيها حسب المقطع المنبور.) 10)

النبر يتغير نتيجة لبعض التغيرات الصوتية التي تلحق الكلمة أو الكلمتين يمتد المقطع الكلامي من نهاية الكلمة إلى بداية الكلمة المجاورة، قد يقع اللّبس إذا لم تكن هناك قرينة لفظية. وهذا النوع يحتاج في بعض الأحيان إلى ظواهر مما يفسّر في البنية المقطعية (كذلك يتطلب السياق الاستعمالي أحيانا بعض الظواهر موقعية مثل هاء السكت والإشباع والندبة وإطلاق القافية وغير ذلك من يأتي عند تغيير في البنية المقطعية.) (11).

3 . النبر في ضوء نماذج قرآنية

النبر في القرآن ظاهرة صوتية دقيقة تبرز في الأداء، وقف عندها أكثر القراء لأنّه موضّح لأحد مقاطع الكلمة (والمرء حين ينطق بلغته ، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ، ليجعله بارزا أواضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة. وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر.) 12 فالصوت يكون أبين وأطول، كما أنّ المقاطع تختلف في درجة النطق، ويلعب النبر دورا كبيرا في تحديد المعنى وهذا ما توصّل إليه القدامى (ويتضح موقف العلماء العرب القدامى من دور النبر في تحديد الدلالة في دراستهم البلاغية على وجه الخصوص، وتوزيعهم الطلب إلى دلالات كثيرة، وتقسيم كل دلالة إلى معان إضافية تزاد على النمط اللغوي المعين.) 13

وفي القرآن شواهد كثيرة وقف القراء من خلاله على المعنى الحقيقي من ذلك قوله تعالى:(فَسَقَىَ لَهُمَا) القصص 24 فعند القراءة يجب تمييز صوت الفاء، وعدم دفع الصوت على عليه لأنّه يحوّل المعنى من السقي إلى الفسوق. فالقراءة السليمة توضّح الدلالة، وتحدّد الترتيب المقطعي في الكلمة لمعرفة أصلها، ولذا يقع النبر على السين باعتباره فاء الفعل الثلاثي الماضي.

وعند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر 29 فعند نبر الفاء يكون من فقع العين؛ لكن نبر الصوت الثاني يكون من الإلقاء فالفاء عبارة عن مقطع قصير ولا يؤهلها أن تنبر، فهي لا تتحمل الضغط فيضيع المعنى للكلمة التي دخلت عليها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد 16 فكلمة (قَسَتْ) اتّصلت بها الفاء فلا تقبل النبر إنّما النبر يقع على المقطع الثاني ليتّفق مع المعنى الصحيح وهو القسوة، وإلا أصبح من الفقس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخرة وَسَعَىَ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الإسراء 19 ولو نطق الفعل (سعى) بدون نبر الصامت السين كان بمعنى الاتّساع في حين هو من السعي أي السير، فالواو زائد سابق فلا يمكن الضغط عليه فنبره يغيّب الدلالة الحقيقية. ما نستخلصه مما مضى هو أنّ الفعل الثلاثي المجرد منبوره مقطعه الأول. أمّا إذا لم ينته بهذين المقطعين(ص ح ح ص)أو(ص ح ص ص) فإنّ النبر يقع على ما قبل الأخير، ولكنّه لا يكون من النوع القصير ولا يسبق بمثله.

أمّا ما بين الكلمتين فإذا لم يراع تصبح كلمة واحدة فعند قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف 179 إذا توقفنا عند (بَلْ هُمْ) كلّ كلمة تشكّل كتلة صوتية، وتنفردان بفونيم فوق المقطعي ألا وهو النبر إنّه يحدد بداية الكلمة ونهايتها. إذا لم يحسن النطق بهما عن طريق هذا التلوين الصوتي ارتبطت الكلمتان وصارتا (بَلْهُمْ)، تحوّلت الدلالة إلى البله أي الغفلة من الشر بدلا من حرف العطف وضمير المنفصل.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت 69 فسوء توظيف هذا الفونيم فوق التركيبي يزيغ المعنى فتتداخل اللام المزحلقة للتوكيد مع (مَعَ) الظرفية فموطن النبر العين بدلا من الصوت الزائد اللام، وعندها يتّضح المعنى المعية وليس اللمعان.

وعند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ الكهف 10 فكلمة (رَبَّنَآ) كلمة واحدة ؛ لكن سوء النطق يجعلها كلمتين (رب،نا) فالكلمة هي موقع النبر(وسبب ذلك أنّ القارئ دفع الصوت على(ربّ) وعاد دفعه مرة أخرى على (ن)فجعلها كلمتين.) (14)

كذلك إهمال النبر في نطق الحرف نطقا صحيحا يؤول المعنى فعند قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مّنّا يُصْحَبُونَا﴾لأنبياء 43 فعدم الضغط على الصاد تصبح الكلمة (يسحبون) فيتحول المعنى من ينصرون إلى يجرون على الوجه.

– الوقف والنبر: هناك أخطاء تقع في نطق بعض الأصوات مما يغيّر دلالة الكلمة خاصة عند الوقف على الحرف المشدّد. إذا كان الحرف الموقوف عليه مشدّدا عبارة عن حرفين ساكن ومتحرك، فعند الوقف يسكن الحرف الثاني فيصبحان ساكنين، وعندها يكون النبر لإظهار الحرف الثاني الساكن. إذا كان في الكلمة واو مشدّدة مسبوقة بضمة أو فتحة كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ هود 79 وقاله تعالى: ﴿يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ النساء 134 يكون النبر على الصوت الأول الساكن من المشدد فهي بمثابة حرف مد فيخشى من إطالة المد، فالضغط للحد من هذه الإطالة فالواو حرف رخوي. كذلك بالنسبة للياء المسبوقة بكسر أو فتح كقوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَيّارَةٌ﴾ يوسف 19 وعند الوقف على الحرف المشدد المتطرف من ذلك قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ﴾ البقرة 35 الكلمة مختومة بمقطع طويل (قَرّ) يرمز له(ص ح ص ص) فالراء مشدّدة ساكنة لأنّها موضع للوقف ومعناها القرار ، وإهمال النبر على الراء يصبح المعنى السقر وهو اسم من أسماء النار وقوله تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة 264 فعند الوقف على كلمة (طلّ) لابد من نبر الحرف الأخير (اللام) وما قبله (الطاء) للإشارة إلى الحرف الموقوف عليه لأنّ في الوصل يتحول إلى حرفين.

وعند الوقف على الهمزة المتطرفة كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السّمَآءَ كَطَيّ السّجِلّ لِلْكُتُب﴾ الأنبياء 103 فدور النبر التنبيه على وجود همزة حتى لا يضعف صوتها، وهذه الهمزة في الوصل متحركة؛ لكن عند الوقف تكون بالسكون لإظهارها، نطقها همزة واحدة أي الانتقال من الألف التي قبلها إلى الهمزة بالضغط حتى نقلقلها عند الوقف، وليس كل الحروف المشدّدة عند الوقف صالحة للنبر كحروف القلقلة (قطب جد) التي فيها غنة النون والميم والحروف المسبوقة بمد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ الصّآخّةُ﴾ عبس 33 النبر على حرف الخاء مما يحدث تأثيرا يؤكد على الصاخة، لأنّ الحرف المشدّد ينطق حرفا نتيجة المد الطويل الذي قبله. لابدّ من الانتقال من الألف الممدودة إلى مد لازم إلى الحرف المشدد بعدها مع النبر.

– النبر وألف التثنية: في القرآن ثلاثة مواقع وردت أفعال في حالة التثنية ولابدّ من النبر حتى نميّزها عن المفرد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ يوسف 25 فالضغط على القاف لتحديد صيغة الفعل لأنّ عند الوصل تسقط الألف.

النبر من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح يميز مقطعا من آخر، فهو مظهر من مظاهر الكلمة ينسج لها شكلا مميزا عن غيرها. مهمته تكمن في توجيه المراد للتفريق بين الدلالات والوقوف على شكل الكلمة (وللنبر على المستور الكلام المتصل وظيفة مهمة، ترشد إلى التعرف بدايات الكلمة ونهاياتها. فمن المعلوم أنّ الكلمة في سلسلة الكلام المتصل قد يفقد شيئا من استقلاله، فقد تداخل مع غيرها، أو تفقد جزءا من مكوناتها.)15

– أمّا علاقته بالإدغام فيكون على المستوى الصوتي يثير شعور السامع، يحدث عند الاستعجال بالنطق، وفيه يتقرب صوت من صوت. منها إدغام الدال في الجيم عند قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ مّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مّبِينٌ﴾ المائدة 17 الجيم العربية الفصيحة تطورت حديثا عمّا كان ينطقها العرب القدامى، فهي أقرب من الدال (ويظهر أنّ الجيم التي نسمعها الآن من مجيدي القراءة القرآنية، أقرب الجميع إلى الجيم الأصلية، إن لم تكن هي نفسها. والجيم التي نسمعها الآن من مجيدين للقراءة صوت شديد مجهور.) 16

– إدغام الدال في السين قال تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مّن قَبْلِكُمْ﴾ المائدة 104 هذه القراءة (قرأ بها هشام والعلة الصوتية التي على أساسها يفسر إدغام هشام في هذه الأصوات هو أنّها جميعا أصوات هلالية، وإنّ الإدغام يجعل المقطع الأول منبورا.) 17 و الأصوات هي التاء، الجيم، الذال، الزاي،السين، الشين، الصاد، الضاد، الظاء.

– إدغام تاء التأنيث في الأصوات الهلالية عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء 55 نفس القراء أدغموا التاء في الجيم لأنّ الصوتين من اللسان وإن اختلفا في الجهة.

يقع هذا الإدغام ليكون المقطع الأول من مقطعي الإدغام المنبور، وقد يحدث حذفا أو إسقاطا لصوت من ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء 1(قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (تسّاءلوا) مشدّدة، أدغمت التاء في السين، وإدغامها في السين حسن لاجتماعهما في أنّهما من طرف اللسان وأصول الثنايا واجتماعهما في الهمس.)(18) هذه القراءة حدث فيها تحول في التركيب المقطعي، فأصل الكلمة تتساءلون حذفت إحدى التاءين إذا كانت السين خفيفة، أمّا المشددة فوقع إدغام التاء في السين . فالمقاطع تكون على النحو التالي تت/سا/ء/لون، المقاطع الثالثة منبورة لكن النبر يختلف من مقطع إلى آخر من جهة القوة.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيّتَ مِنَ الْحَيّ﴾ آل عمران 27 (قرأ أبو بكر عن عاصم وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (الميْت) بالتخفيف.) 19 (ويرى معظم النحاة جواز تخفيف ميّت وسيّد فيحذفون عين الكلمة فيقال ميْت وسيْد لاستثقالهم الياءات.) (20) أي بفتح الميم وتسكين الباء، فالتغير من ميِيت إلى ميت ومن سيِيد إلى سيْد بإسقاط كسر الياء. هذا النوع من الإدغام تظهر فيه مواطن النبر إنّهما جزء من الكلمة لأنّ النبر عنصر من عناصر بنية الكلمة، وقد وقف القدامى عند الصلة الوثيقة بين الإدغام وحقيقة النبر لأنّ الإدغام يمنع ضياع هذا الفونيم الثانوي حين تتوالى المقاطع.

– النبر والاستفهام :النبر يحدّد نوع الأسلوب ويميّز بين الخبري والإنشائي فعند قوله تعالى :﴿أَفَلاَ يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ النساء 81 (أَفَلاَ) تداخل مع أَفَل عند قوله تعالى: ﴿فَلَمّا جَنّ عَلَيْهِ اللّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبّي فَلَمّآ أَفَلَ قَالَ لآ أُحِبّ الآفِلِينَ﴾ الأنعام 77 يجب النبر على(لا)أي مدها تمهيدا للجواب بعد كلمة (يتدبرون)حتى لا يضيع الاستفهام فالفاء حركتها غير مختلسة، النطق السليم بتوظيف النبر يفرق بين الاستفهام (أفلا) والفعل أفل من الأفول.

وعند قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرّ﴾ القيامة 10 فالنبر يكون في كلمة (الْمَفَر)على صوت (الراء) فعند نطق هذه الكلمة نمهد للصوت الأخير المشدد بحرف (الفاء)، فإذا لم يكن الضغط (الراء) يغيب المعنى ويتحول من المفر أي الفرار إلى مفرّ.

– الوصل والنبر: مال بعض القراء إلى هذا التغاير في قراءاتهم، ومن أشكاله الوصل بالضمّ (والمقصود بهذا المصطلح أن يكون آخر الكلمة صامتا، تتبعه كلمة مستهلة بهمزة وصل، وهي في حقيقتها ضمّة. وذلك مثل (أن اعبدوا) فقد قرأ ها خلف بضم النون بدلا من كسرها.)(21) وما يلاحظ على هذه القراءة أنّ هذا الضمّ في أصله فعل مضارع (أعبد) وقد تشكّل من النون والضمّة والعين، فعند تقارب قراءة الضمّ من قراءة الكسر نلمس أنّ النبر في الضمّ أشدّ.

– كما يتدخّل النبر عندما تختلف أوضاع حركة عين الكلمة ، فقد وردت في بعض القراءات القرآنية تسكين عين بعض الأسماء فعند قوله تعالى: ﴿يَاأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ الّذِينَ اتّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً﴾ المائدة 59 فكلمة (هُزُواً) (قرأها حمزة وخلف بإسكان الزاي في الوقف والوصل.)(22) أسكنت الزاي على وزن فُعْل (ومسوغ عين الكلمة الثلاثية – عندما تكون لامها همزة – مسوغ صوتي ولا شك، وملخصه أنّ الضمة والهمزة صوتان خلفيان، فالتناسب بينهما آت من هذا القبيل.) (23) ونفسها كلمة (كفؤًا).

وعند قوله تعالى: ﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السّلْمِ كَآفّةً وَلاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مّبِينٌ﴾ البقرة 206 مفردة(خُطُوَاتِ) بإسكان الطاء قرأ بها (نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة والبزي بضم وسكون.)(24) ولعلّ السبب الذي دفع هؤلاء القراء إلى هذه القراءة هو توالي صائتين قصيرين، فضمّة الطاء إتباعا لحركة الخاء نتيجة المجاورة.

فالقراءات التي ورد فيها النبر جاءت لتبيّن أثره في توزيع الكلمة (إنّ النبر قد يأتي على درجة مختلفة من حيث القوة والتوسط أو الضعف في بعض الجمل ومكوناتها لأغراض تصير به خاصة.)(25) فوظيفته نطقية ودلالية عند النطق، وهذه الوظيفة ترتبط بالنظام ال لغوي. تظهر قيمته في إزالة اللّبس وتميّز ما كان أصلا في الكلمة عما كانت زائدا. النبر يختص بالكلمة وميدانها الصرف، ولا يختص بالأسماء دون الأفعال أو العكس، فدوره يكون في الكلام ليحدّد المعنى، وهذا ما يلاحظ عند قراءة القرآن الكريم.

خاتمة:

لاريب أنّ غزارة المنظومة الصوتية في القرآن الكريم لم تنكر القياس وما نطقت به سنة الفصحاء، خضعت للقيم اللغوية التي أقرّها القرآن الكريم، بعيدة عن الغريب والمصنوع. فعلى أهل العلم دوام الارتباط، والالتزام بهذا المدد العلمي ليسدّ قريحته ويشفي نباهته. وردت متميّزة بالجدّة متجاوزة العرف الجاهلي تنحو منحى الإعجاز، تسير على وتيرة تحت قانون التوازن بين النبر والمقصد، حاملا الممارسة الذوقية والجمال التعبيري. قدّمت حقائق صوتية جديدة، ومفاتيح نيّرة لاقتحام باب البحث اللغوي تؤدي إلى آفاق كانت غائبة عن العقل، يستنبط منها أهل اللغة ما هو أقرب إلى السداد يثرون بها المعرفة اللغوية، تخرج التفكير الصوتي من النمط التقليدي إلى ما هو أعلى درجة.

وهكذا سطع النبر بجماله الصوتي، وانتشرت سيادتها، وتيقّن أهل النهى أنّها حكمة قيادية في إنتاجهم، فأعلنوا الحداد على غيرها لما أصابها الوهن. فاستراح العقل بين أفنانه مبتهجا لما تحفل به من زخم صوتي، وتفجّر إيقاعي فانطلق في متابعة مدلولاته المستفيضة. فجمالها الصوتي على مستوى واحد من القوة هذا ما ساعد على الإنتاج العلمي وسعة ميادينه وتنوّع مجالاته.

التوصيات:

- الاهتمام بالبحث الصوتي النظري والتطبيقي، وترشيد الباحث إلى الاقتراب من لغة القرآن.
- الانفتاح على الدراسات الحديثة مع المحافظة على خصوصية الدرس الصوتي في الدراسات القرآنية.
- التقريب بين ملكة السلف ونباهة الخلف في التكامل المعرفي لتأمين آفاق الصوت العربي.

قائمة المراجع:

1. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم دمشق 1966، ص28

2 . عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 25

3 . بروكلمان، فقه اللغة السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ص45

4 . برجشتاسر، التطور النحوي فللغة العربية، ترجمة : عبد التواب رمضان ، مكتبة الخانجي 1994م، ص46 . 47

5 . عمر مختار أحمد، دراسة الصوت العربي، عالم الكتب القاهرة 1997م، ص 230

6 . عمر مختار، دراسة الصوت العربي، ص243

7 . جان كانتينيو، درس في علم أصوات العربية، الجامعة التونسية1966م، ص 194. 195

8. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب القاهرة2000، ص 507

9 . تمام حسان، اللغة العربية معناها، دار الثقافة المغرب طبعة1994، ص 307

10 . قاسم بني دومي خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2006م، ص 144

11 . تمام حسان، اللغة العربية معناها، ص 306

12 . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية 1975 م، ص170

13 . الهادي نهر، علم الدلالة، دار الأمل للنشر الأردن 12007م، ص74

14 . نبيل بن عبد الحميد، الجامع الكبير في علم التجويد، الفاروق الحديثة القاهرة 1426هـ، ص 333

15 . كمال بشر، علم الأصوات، ص514

16 . ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص77. 78

17 . سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث أربد 2005، ص39

18 . الفارسي(أبو علي)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار مأمون 1198 /118-119

19 . عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 470/1

20 . سيبويه(عمرو بن عثمان)، الكتاب، تحقيق:عبد السلام هارون عالم الكتب بيروت1983م، 366/4

21 . سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، ص289

22 . عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 296/2

23 . سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص292

24 . عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 230/1

25 . كمال بشر، علم الأصوات، ص524